مجلة العلوم القانونية و الاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

الإستراتيجية العسكرية للقضاء على الثورة التحريرية في منطقة تبسة 1954 – 1958

The military strategy to eliminate the revolution in the region of Tebessa 1954- 1958

الدكتورة: براهمي نصيرة

جامعة الشيخ العربي التبسي تبسة

brahmitebessa@yahoo.fr

تاريخ ارسال المقال: 2019/05/09	تاريخ القبول: 2019/05/23	تاريخ النشر:2019/09/01

المرسل: الدكتورة: براهمي نصيرة

الملخص باللغة العربية:

راهنت فرنسا على الحل العسكري للقضاء على الثورة في منطقة تبسة والدليل على ذلك هو تضخيم ترسانتها العسكرية من قوى بشرية وعتاد وخطط حربية وكثرة عملياتها العسكرية لاسيما التمشيط، وجعل معظم مناطق تبسة مناطق محرمة، يتعرض حتى من حاول المرور بها إلى القنبلة والقصف دون سابق إنذار، فأخطر تقنية والمتمثلة في إنشاء السد المكهرب أو ما يسمى بخط الموت لحرمان الثورة من الإمداد والتسليح وعزلها فالقضاء عليها، وقد كان لهذا السد أثار وخيمة على حركية الثورة، إلا أن إصرار جيش التحرير الوطني كان أقوى وأشد.

الكلمات المفتاحية: الحل العسكري، ترسانة، السد المكهرب؛ الإمداد.

الملخص باللغة الانجليزية:

France bet on the military solution to eliminate the revolution in the region of Tebessa, inflating the military arsenal as human forces, hardware and war plans, the proliferation of military operations, and making most Tebessa's regions forbidden ones where all who tired to pass by there were under exposure to bombing without warning, all these were proofs on France's bet, and the most dangerous technique was building electric line or what was called the death line to deprive the revolution of supply and armament, isolating it, them eliminating it, and this line had awful effects on the dynamics of revolution, but the insistence of the national liberation army was stronger and more powerful.

Keywords: military solution, arsenal, electric line, armament .

المختصرات:

م.و.د.ب.ح.ث.ن.54: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 .

تر:ترجمة.

ج: جزء.

ص: صفحة.

(د.ت): دون تاريخ.

ج: جزء .

- S .H.A.T: Service Historique de l'Armée de Terre.
- A.W.C : Archive de la Wilaya de Constantine.
- Bul : Bulletin
- Inf : Information
- N: Numéro
- p: page.
- ENL: Entreprise national du livre.
- A.W.C: Archive de la Wilaya de Constantine
-Tr: traduction.

مقدمة:

شكل اندلا ع الثورة الجزائرية في الفاتح من نوفمبر 1954 صدمة عنيفة جدا على السلطات الاستعمارية التي لم تتصور أبدا أن تصدر هذه الأفعال والتوجهات من شعب تم إذلاله بوسائل وأساليب مختلفة على مدى قرن وربع، كما أدى توسيع وانتشار الثورة إلى سقوط الحكومات الفرنسية الواحدة تلوى الأخرى، وكذا إنهيار الجمهورية الرابعة فقيام الخامسة برئاسة ديغول، ولقد إختار ساسة وعسكريو فرنسا الحل العسكري طوال فترة الثورة فقاموا بالزيادة في الترسانة الحربية وتنويعها وتحديثها عدة وعتادا، وكلفوا أبرع وأشهر الجنرالات بإعداد أخطر المخططات الحربية، تعتبر منطقة تبسة من أهم المناطق التي جسدت فيها أدق صور الإستراتيجية العسكرية الفرنسية بشكل خطير بحكم وقوعها بالشريط الحدودي الجزائري التونسي والدليل على ذلك هو التكثيف من المراكز العسكرية، تمشيط تراب المنطقة بإستمرار، تهجير السكان واعتبار أراضيهم مناطق محرمة، إقامة السد المكهرب أو ما يطلق عليه بخط الموت لتطويق الثورة وعزلها فتصفيتها.

إشكالية ومنهج الدراسة:

في هذا السياق نتطرق إلى الإشكالية التالية: – ما هي الأساليب والإجراءات والطاقات العسكرية الفرنسية لتصفية الثورة في منطقة تبسة ؟ وهل الزيادة في ترسانتها الحربية والإكثار من عمليات التمشيط وتكثيف العمليات العسكرية وإنشائها المناطق المحرمة مكّنها من تحقيق انتصارات على الثورة؟.

– ما هي الأسباب والدوافع التي أدت بها إلى تطويق الثورة من خلال إنشائها للسد المكهرب؟ وإلى أي مدى وقف هذا الأخير عائقا أمام عمليات التسليح؟ وما هي إفرازاته على مسيرة الثورة؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية تم إستخدام المنهج التاريخي التحليلي والمنهج الوصفي المناسبان لطبيعة الدراسة.

حدود الدراسة:

يتمثل الإطار الجغرافي لموضوع الدراسة في منطقة تبسة منطقة حدودية شرقية عرفت في إطار النشاط العسكري والسياسي للثورة هيكلتين الأولى ناحية تبسة 1954 – 1956 والثانية المنطقة السادسة من الولاية التاريخية الأولى 1956 – 1962 والمتمثلة في ذلك الحيز الجغرافي من ولاية تبسة الإدارية الحالية باستثناء الجزء الممتد من بكارية شرقا إلى ونزة بالشمال الشرقي ومن بولحاف الدير إلى العوينات بالشمال الغربي كما تمتد المنطقة السادسة فوق تراب ولاية خنشلة الإدارية الحالية فتشمل أولاد رشاش، ششار، ببار، وتمتد جنوبا إلى الحدود من بني قشة بالوادي.

أما الإطار الزماني فيتمثل في الفترة من 1954–1958 يشمل هذا المجال عدة محطات أولها اختيار مجموعة من دعاة التيار الثوري تبني الكفاح المسلح وتفجيرهم الثورة التحريرية بطاقات مادية وبشرية محدودة جدا للقضاء على النظام الاستعماري واسترجاع السيادة الوطنية، وكذا مرحلة توسع وانتشار النشاط الثوري، ثم فترة التنظيم من خلال قرارات مؤتمر الصومام، بالمقابل إصرار فرنسا على أن الجزائر فرنسية، واختيارها للحل العسكري لتصفية الثورة.

1- الإجراءات والتدابير العسكرية 1954- 1956.

أ- نظرا للتطورات الحاصلة في منطقة تبسة بحكم موقعها على الشريط الحدودي الجزائري التونسي وتحكما في الأوضاع الأمنية، قامت السلطات الاستعمارية منذ جوان 1954 بالتدابير التالية:

- حراسة الشريط الحدودي الجزائري التونسي.
- تفتيش المزارع المعزولة ومراقبة مخازن المتفجرات بالنسبة للشركات المنجمية .
- رفع وتبديل علامات تبيان خطوط السير ونقاط المياه[1].
- إنشاء الأفواج المتنقلة للأمن (GMS) والتي عرفت بالأفواج المتنقلة للشرطة الريفية، وتم بناء مراكز لها بتبسة مع مارس 1955 وهي كالآتي:

مركز رقم 03 بمدينة تبسة: يشرف على تمشيط المناطق الريفية لجبل العنبة، المستيري، حلوفة، قوراي، بوخضرة، فج تنوكلة المؤدي لبئر العاتر والماء الأبيض.

مركز رقم 05 بمدينة الشريعة: يشرف على مراقبة المناطق الريفية لمشاتي عبلة ومشنتل وبئر الطويل وأولاد ذياب، الكراع، بئر الدواميس، قصر العطش، وقد أصبح هذا المركز يتوفر على وحدة الشرطة الريفية المتنقلة والدرك والفوج 105 مدرعة والكتيبة السادسة للمشاة.

مركز رقم 26 بقنتيس: من مهامه مراقبة السكان بعقلة قساس والبطين والمديلة والجرف والجديدة حتى مداخل فركان في الجنوب، تعرض هذا المركز لهجومات جيش التحرير الوطني، كما لم تسلم وحداته من الكمائن منها الكمين الذي أودى بحياة ديبوي[2] حاكم قنتيس في ماي1955[3].

مركز رقم 72 يوكوس ليبان (الحمامات حاليا): لموقع هاته الأخيرة بمنتصف تبسة فقد تم إنشاء المركز في أوت 1955، مكلف بمراقبة جبل العنبة والدكان، جنوب شرق تبسة وجبل بلكفيف والمسلولة، جبل حلوفة شرقا، جبل سرديلس، تروبية، القعقاع في الجنوب الشرقي.

مركز رقم 73 ونزة: أُنشأ في سبتمبر 1955 يراقب شمال منطقة تبسة، الدير، الحوض وجبل سيدي أحمد[4].

تماشيا مع الوضع القائم وتحكما في الظروف المستجدة طلب محافظ قسنطينة يوم 06 أكتوبر 1954 من رئيس قسمة قسنطينة بتسخير العدد الكافي من الفرق العسكرية من أجل حفظ النظام والأمن الاستعماري بالحدود الجزائرية التونسية[5].

زار الجنرال شاريار (Cherriére) قائد المنطقة العاشرة في 19 أكتوبر تبسة أين التقى بقائد القوات العسكرية للشرق الجزائري سبيلمان (Spilman)، وتوّج هذا اللقاء باتخاذ مجموعة التدابير الاحتياطية التالية:

- إنشاء وحدات خفيفة من فرق المشاة ووحدات لمتابعة الثوار الذين دخلوا من القطر التونسي وتمركزوا بجبال النمامشة وتكوين فيلقين من الرماة الجزائريين للإشراف على الوضع بالجبال المذكورة.
- توزيع السلاح من نوع موسكوتون على بعض العائلات بالأرياف وشمل هذا التوزيع عرش أولاد بلعيساوي بالخصوص ولكنهم رفضوه[6] .

- وفي 26 أكتوبر 1954 تم تأسيس منطقتين حدوديتين إحداهما شمالية يقودها العقيد شان (Chene) تتكون من ثلاث قطاعات بريمو، سوق أهراس، مرسط، والثانية جنوبية يقودها العقيد بلانش (Blanche) تتكون من قطاعين احدهما هو البلدية المختلطة خنشلة والآخر هو تبسة[7].

حسب تقرير حول الوضعية بشمال إفريقيا مؤرخ في 18 ديسمبر 1954 من قيادة أركان الحرب المكتب الثالث فإن المنطقة الحدودية الممتدة من مشارف البحر إلى غاية تبسة (لاكال، سوق أهراس، مرسط) يشرف عليها قانونيا نائب محافظ مفوض من قبل محافظ قسنطينة، وكان قائد الفيلق رقم 15°R.T.S ينظم ويرتب كتيبتين، فيلق المظليين الاستعماريين، ثلاثة فيالق من الأفواج المتنقلة 314، فيلق البليزار (Blizzard) وسريتين من فيالق الجندرمة المتنقلة، في حين كانت منطقة الجنوب الواقعة بين الاوراس وتخوم الصحراء تتضمن أكبر المجموعات والفرق العسكرية للعمليات[8].

إن النقص في قوات الاحتياط بجبال النمامشة مَثّل نقطة الضعف الأساسية وانعزال المنطقة عن الدائرة الاستعمارية وانعدام أية علاقة بين السكان وجيش العدو خاصة سنتي 1954-1955 جعلهم يشعرون بتحركهم في اتجاهات مبهمة وبيئة معادية ولذلك أسست السلطات الفرنسية في المنطقة في الفترة بين مارس1955 و1956 اثنين وأربعين مركزا عسكريا دائما للقوات الاستعمارية[9].

وهذه المراكز هي: مركز فركان، مركز نقرين، مركز بوموسى، مركز سوكياس، مركز رأس القرقيط، مركز الشريعة، مركز الدكان، مركز جبل العنق، مركز بئر العاتر، مركز أم علي، مركز بن حليم، مركز بن جبلين، مركز الكويف الشمالي، مركز عين الزرقة، مركز حجرة أم الطبول، مركز هنشير الحديد، مركز بكارية، مركز تنوكلة، مركز الكاليتوس، مركز لعوينات، مركز البياضة، مركز ثليجان، مركز الجرف، مركز رأس العش، مركز عين الفضة، مركز عين شانية، مركز العقلة المالحة، مركز الماء الأبيض، مركز البراكة، مركز الحجار الصفر، مركز القنطيط، مركز مراح الحلة، مركز القليتة، مركز البطنة، مركز بئر الوسرى، مركز الخنيق، مركز المريج، مركز الكويف، مركز رؤوس العيون، مركز القرقارة، مركز عين سيدي صالح، مركز بركة الفرس[10].

أسندت القيادة المدنية والعسكرية لمنطقة أوراس النمامشة إلى الجنرال بارلنج المختص في الشؤون الأهلية في المغرب، وعين الجنرال فانوكسام كنائب له على الشؤون العسكرية.

ومن فرق الجيش الفرنسي بناحية تبسة نذكر الفرقة المدرعة السادسة المؤلفة من السبايس المغاربة بنقرين والفرقة المدرعة السادسة بنواحي تبسة والشريعة وكتيبة المظليين المرابضة بتبسة[11] ووحدات المشاة والتي تم تثبيتها بالمنطقة بمقتضى قرار قيادة الأركان للناحية العاشرة بتاريخ 30 سبتمبر 1954[12]، كما ضم الجيش الفرنسي بالمنطقة فرق أخرى منها القناصة، الخيالة، المظليون، الكتيبة الأولى من الفيلق الثالث، القوات الصحراوية التابعة للفيلق الأجنبي والفرق المحمولة رقم 21، 22، 23، القناصة الجزائريون بقيادة المقدم ميتزنغر، كتيبة اللفيف الأجنبي للفيتنام، الكتيبة الأولى من المظليين، القناصة المغاربة[13] والفرق الخفيفة[14]، وكانت فرنسا ترسل بإمدادات عسكرية بين كل مناسبة وأخرى ومن أولى هذه المناسبات عودة القوات المسلحة من الهند الصينية حيث تم دعم الجيش الفرنسي بمنطقة النمامشة بقوات إضافية[15].

ب- تمشيط الجيش الفرنسي لناحية تبسة:

لجأ الجيش الاستعماري بغرض خنق الثورة في مهدها وحرمان جيش التحرير الوطني من التموين والإمداد إلى تمشيط الجبال والشعاب معتمدا على المعلومات الخاصة بأماكن تموقع المجاهدين وعلى طائرات الهيليكوبتر مع تخصيص كتيبة لكل فيلق تدعى الكتيبة الخاصة تجيد القتال ليلا وفنون حرب العصابات المضادة، وبناحية تبسة قام الجيش الفرنسي بعدة عمليات عسكرية منها:

- تمشيط بحيرة الأرنب والدرمون جنوب الشريعة في سبتمبر1954 لملاحقة فرق الثوار التونسيين بتبسة[16].

- تمشيط جبال سيدي أحمد، ونزة، بوخضرة شمال تبسة، بكارية، بئر العاتر، سفوح جبل غيفوف عن طريق حملة عسكرية ضخمة في أكتوبر 1954[17]، ثم جبل بورمان، جبل نوال، جبل الدكان، البطانة بالقرب من الحدود التونسية، وتواصلت عملية التمشيط إلى نهاية شهر أكتوبر وخلال هذه العملية تم إشتباك مجموعة فرحي ساعي المسلحة التي كانت متمركزة بدوار الغنجاية بالقرب من بحيرة الأرنب إلى الشرق من مدينة الشريعة في 17 أكتوبر 1954.

- تمشيط ناحية العوينات يومي11 و 12 جوان 1955 من طرف الكتيبة المظلية الخامسة للمستعمرات.

- عملية اشلون (échelon) نفذها الفوج الأجنبي للمظليين، شملت جبال النمامشة امتدادا من جبل وسيف شمال ثليجان باتجاه جبل فوة.

-عملية تيمقاد بدأت منذ شهر أوت 1955 وانتهت بمعركة الجرف، شارك فيها 40 ألف جندي.

- عملية تمشيط جبل البطنة بالماء الأبيض من طرف نفس الفوج المظلي لتمتد إلى جبل العنق ببئر العاتر في 24 سبتمبر 1955، كما تم تمشيط نقرين وفركان وسوكياس من طرف الكتيبة السادسة الصبايحية، وقد واجه الجيش الفرنسي صعوبات في عملياته التمشيطية من بينها ولاء السكان لجيش التحرير الوطني ومواجهة هذا الأخير لجيش العدو، فضلا عن التضاريس الصعبة للمنطقة وطابعها الصخري[18].

ج- إنشاء المناطق المحرمة:

المناطق المحرمة هي مناطق يتم إطلاق النيران صوبها على كل شيء يتحرك فيها بشكل فوري وإستعجالي ودون سابق إنذار أو إخطار[19]، وكانت الاوراس من أولى المواقع التي أُنشئت بها المناطق المحرمة بتاريخ 12 نوفمبر1954،حيث حلقت الطائرات فوق الجبال ورمت بالمناشير وأمرت من خلالها السكان بالتوجه إلى مراكز عينتها وذلك في ظرف لا يتجاوز 03 أيام[20]، وما لبثت السلطات الفرنسية أن عممت إنشائها في كامل التراب الوطني[21].

وتتمثل غاية السلطات الفرنسية من إنشاء هذا النوع من المناطق في تيسير مراقبتها[22] والحصول على المعلومات اللازمة عن جيش التحرير الوطني وتحركاته ومراكزه والوصول إلى عزل الثورة عن أفراد الشعب فتصفيتها[23].

تعتبر منطقة تبسة من المناطق التي جعلت السلطات الفرنسية معظم أراضيها مناطق محرمة[24]، ومنذ مارس 1956 مُنع على الأفراد التنقل بمناطق معينة لأنها حسب التدابير الاستعمارية أصبحت محرمة وهي:

المنطقة الأولى: جبال النمامشة (الصنف ب) من ثليجان جنوبا وحتى جبل سوكياس شمال نقرين وفركان على مسافة 30 كلم ومن جبل العنق شرقا حتى الجديدة على الحدود مع خنشلة على مسافة 73 كلم.

المنطقة الثانية: جبل غيفوف والزواريف جنوب نقرين المحاذية لصحراء المرموثية وشط الغرسة بالقرب من وادي سوف والحدود التونسية.

المنطقة الثالثة: تتمثل في ذلك الفضاء الحدودي بين الجزائر وتونس، وكجزء منه المار بتبسة من قلعة السنان شمال ونزة حتى مركز أم علي جنوبا على مسافة 120 كم ومتوسط 15 كلم يتسع بالقرب من مرسط لعوينات، فضلا عن أن المناطق المحيطة بالماء الأبيض باتجاه تونس عبر جبل بوربعية محرمة، من الصنف أ، تتم مراقبتها ليلا نهارا من طرف الطيران الفرنسي من مطاري بئر العاتر وتبسة.

المنطقة الرابعة: جبال فوة، بوجلال، الدكان، نوال (صنف ب) يراقبها الجيش الفرنسي شرقا من الماء الأبيض وشمالا من مركز الدكان وبرج القعقاع ومركز بئر مقدم غربا[25].

لأن الحيز الجغرافي الذي تتربع عليه المناطق المحرمة يشكل نسبة كبيرة من مساحة المنطقة مجال الدراسة فلقد انعكس سلبا على الأنشطة الاقتصادية للسكان خاصة النمامشة وسكان نواحي الحدود ومن المتفق عليه أن الثوار كانوا يستخدمون البغال في عملية نقل مختلف المؤن، لكن بعد إنشاء هذه المناطق واتخاذ إجراء إحصاء البغال عن طريق ترقيمها في أنعالها تعسرت عملية نقل المؤن[26]،كما تمت معاقبة وقمع كل مدني حاول المرور أو دخول المناطق المحرمة، ومثال ذلك تقديم مدنيين تونسيين للمثول أمام القضاء الفرنسي بتهمة تواجدهم بأحد المناطق المحرمة بتبسة في جانفي 1957[27] .

2- المجابهة العسكرية 1956- 1958:

حققت الثورة في الفترة بين 1956-1958 التفاف الشعب حولها مما اكسبها تموينا وتسليحا وتجنيدا في صفوفها، كما حققت انتشارها وخروج صداها إلى الرأي العالمي، ومثل مؤتمر الصومام محطة مفصلية لأنه نظمها من جميع جوانبها العسكرية والسياسية والاجتماعية والدبلوماسية، وهذا ما أخلط أوراق الحكومات الفرنسية المتتابعة وجعلها تخطط وتجرب وتبحث وتجعل من الحل العسكري الوسيلة الفعالة والرادعة لاستعادة روح المبادرة والقضاء على من سمتهم المتمردين وتحقيق نصر عسكري ساحق.

أ- التنظيم العسكري للجيش الفرنسي:

لفترة معينة أشرف على القطاع العسكري بتبسة الكولونيل ديبيوي (Depouilly) الذائع الصيت[28]، وتم إنشاء منطقة العمليات شرق قسنطينة مركزها تبسة، تضم 03 مجموعات مدرعة و04 سرايا متحركة للدرك و20 فيلق للمشاة[29] منهم الفيلق 26 للمشاة الميكانيكية (26e Rim) والفيلق 151 للمشاة الميكانيكية (151e Rim)، الفيلق 153 للمشاة الميكانيكية (152eRim)، الفيلق 153 للمشاة الميكانيكية (153e Rim)، الفيلق الرابع التابع للواء الثامن للمدفعية (IV/ 8e Ra)، والفيلق 16 للمدرعات (16eDragons)، وتمتد هذه المنطقة على طول الحدود الجزائرية التونسية[30].

تتمثل مهمتها في تمشيط ومراقبة الحدود والسد الشائك[31] وغلق المسالك والممرات لقطع تموين وتسليح الثورة، وتم إسناد قيادتها للواء بول فانوكسيم صاحب التجربة في قمع الثورة باوراس النمامشة، وتبعا للخاصية الجغرافية للمنطقة وصعوبة تضاريسها ولمقتضيات تنفيذ المهام قسمت منطقة الشرق القسنطيني إلى 03 قطاعات، قطاع تبسة يقوده الجنرال صوفانياك (Sauvagnac)، حيث تم توجيه الفيلق 26 للمشاة الميكانيكية لمرسط وكان يضم لوحده 1758 مقاتل من مختلف الرتب، يعسكر بسبعة مواقع هي مرسط، بوخضرة، وادي الكباريت المريج، ونزة، مسلولة، برج القايد، أما قطاع سوق أهراس أُسندت قيادته للجنرال بلميتجير، في حين يشرف على وحدات قطاع عنابة الجنرال فانوكسيم[32].

تتشكل قيادة الفرقة (الديفزيون) الخامسة والعشرين للمظليين بتبسة من 05 فرق و05 كتائب تتمركز بيوكس ليبان (الحمامات)، فركان، بئر العاتر، تبسة، وتمركزت مجموعات وفرق وكتائب فيالق قوات التدخل السريع التابعة لمنطقة الشرق القسنطيني ببئر العاتر، تبسة، نقرين، الماء الأبيض، سكياس.

ولقد دُعم الجيش الفرنسي بالمنطقة مجال الدراسة بوحدات أخرى منها مفرزة القناصة، فرق المخزن، الأفواج الأمنية المتحركة (GMS) منها الفوج الخامس بالشريعة، فرق الحركى بالماء الأبيض وتبسة وكان تعداد كل فرقة 175 حركي[33].

سخّرت الحكومة الفرنسية اعتمادات كثيرة وكبيرة لسد احتياجات المؤسسة العسكرية والتي تمثلت ترسانة أسلحتها في تلك التي امتلكها الجيش الفرنسي من قبل والمخصصة لخوض الحروب التقليدية على نطاق واسع بما فيها من آليات أخرى مختلفة منها سيارات الجيب والشاحنات الثقيلة والخفيفة وقاذفات الصواريخ، المصفحات والدبابات والأسلحة الرشاشة من نوع 24-29 والفانبار.

منذ سنة 1956 عملت الحكومة الفرنسية على تحديث الأسلحة والتخلي عن الأنواع القديمة منها البنادق عيار8 ملم والرشاش ماص 38 (MAS38)، والتزود بأسلحة متطورة منها الفردية مثل المسدس الرشاش ماط 49 (MAT49) والبندقية نصف آلية ماص 36 (MAS36) وماص49 (MAS49) والبندقية من نوع Carabine والتي تستخدم الأشعة ما فوق الحمراء[34]، وتميزت الأسلحة الفرنسية الصنع بكونها متينة ودقيقة التصويب وسهلة التفكيك مقارنة بنظيرتها الأمريكية[35]، أما سلاح الطيران فتنوع بين الحوامات، طائرات T6، طائرات حاملة للقنابل، طائرات نوع B26، طائرات مقاتلة...[36].

بالنسبة لقطاع تبسة وفيما يخص الفيلق السادس للفيف الأجنبي (6e cuirassiers) كان مقره بالماء الأبيض، وابتداءا من جوان 1958 تم نقل قائده الكولونيل بريار (Brière) إلى مهام أخرى بفرنسا، وحضر القائد المدني والعسكري لمنطقة الشرق القسنطيني القائد فانوكسام لتبسة وتسلم الراية من القائد بريار وعهد بها إلى القائد دي بور دي باناشارا (Du Port de Panchara)[37].

ب- العمليات العسكرية الفرنسية بمنطقة تبسة: ركزت قوات الجيش الفرنسي على تمشيط النواحي الأربعة لمنطقة تبسة وسخرت لذلك ما يلزم من جنود وإطارات بشرية وعدة وعتاد، وهذا بقصد خنق الثورة وتطهير المنطقة من جيش التحرير الوطني، ومن هذه العمليات نذكر:

– تمشيط منطقة قنتيس في نهاية أوت 1956 من طرف الكتيبة الثالثة المحمولة، وقد اعترف العقيد ترانكييه بصبر وتصلب المجاهدين في جبل العلق وبوزغنيت[38].

– تمشيط غرب تبسة باتجاه جبل تروبية بتاريخ 26 جانفي 1957، تسبب في اشتباك جيش العدو مع جيش التحرير الوطني والحصيلة هي مقتل 06 جنود فرنسيين وجرح 07 آخرين، واستشهاد 80 مجاهد وأسر آخر واعتقال 10 مدنيين[39].

– تمشيط كامل قطاع تبسة باسم L'opération Pénéloppe في فيفري 1957[40].

– بتاريخ 03 ماي 1957 قامت القوات الفرنسية بتطويق المنطقة الواقعة على بعد 28 كلم جنوب غرب تبردقة موقع تمركز وحدات جيش التحرير الوطني مما أدى إلى الاشتباك بين الطرفين والحصيلة هي مقتل جنديين فرنسيين و استشهاد 05 مجاهدين، فضلا عن خسارة 04 بنادق منها 03 حربية[41].

– عملية تمشيط واسعة بتاريخ 19 ماي 1957 للمنطقة الواقعة على بعد 34 كلم غرب بئر العاتر، لتشمل العملية منطقة الماء الأبيض[42].

– عملية تمشيط أخرى بتاريخ 25 ماي 1957 شملت جبل نوال والذي يبعد بحوالي 06 كلم جنوب تبسة وأدت إلى اكتشاف السلطات الفرنسية لغار جبل نوال[43] أحد الكهوف التي كان يأوي إليها بعض عناصر جيش التحرير الوطني وكذلك بعض المناضلين، حيث تم القبض على أحمد قراري بن مسعود مسؤول خلية الفدائيين، وعلى اثر هذه العملية تم اكتشاف أعضاء اللجنة المدنية والعسكرية لمدينة تبسة واعتقال 25 شخص[44].

– قيام وحدات الجيش الفرنسي يومي 20 و21 جوان 1957 بحملات مراقبة وتفتيش بناحية بئر العاتر، حيث عثرت على مجموعة قذائف لجيش التحرير الوطني فعملت على إتلافها[45].

– تنفيذ 13 عملية عسكرية للوحدة المتنقلة للشرطة الريفية في شهر جويلية 1957، من نتائجها تفكيك خلية تموين من عناصرها أحد العاملين بمصلحة الاستعلامات للشرطة الفرنسية.

– تنفيذ عملية عسكرية في 01 نوفمبر 1957 حصيلتها مصادرة 05 أطنان من الشعير من سكان تروبية بحجة إيواء الثوار.

– تمشيط دوار تازبنت يومي 02 و03 نوفمبر 1957، والحصيلة استشهاد مواطن وإلقاء القبض على 03 مجاهدين وتحويل 28 مواطن من سكان المشتى إلى المركز العسكري الفرنسي للتحقيق.

– تمشيط دوار الطباقة جنوب شرق الشريعة يوم 24 نوفمبر 1957، مما أدى إلى استشهاد مسؤول سياسي لجبهة التحرير الوطني و04 مدنيين.

– عملية تمشيط لدوار الجابرية ببجن يوم 25 نوفمبر 1957، أستشهد على إثرها 25 مجاهد وخسارة جيش التحرير الوطني لـ 12 بندقية حربية.

– تمشيط دوار تروبية في 28 نوفمبر 1957 من طرف الوحدة الخامسة للشرطة الريفية المتنقلة رقم 05، وكذا جبل العرعور ببوجلال من طرف الكتيبة الثالثة المحمولة، ويعترف بيير كلوسترمان أنه في سنة 1957 كانت تصاب 50 طائرة شهريا بجبال النمامشة، وفي شهر جانفي أُصيبت 85 طائرة و116 أخرى في فيفري.

– إلقاء القبض على 03 شبكات للتموين في الماء الأبيض وتازبنت في نهاية ديسمبر 1957.

– تمشيط المنطقة الممتدة من فركان شرقا إلى جبل غيفوف على الحدود التونسية، وهذا ضمن عملية سوكياس 01 و02 بتاريخ 01 فيفري 1958.

– قيام الكتيبتين الثالثة والثامنة المحمولة بتمشيط جبل العنق بتاريخ 05 فيفري 1958 باستخدام مدفعية الميدان و05 حوامات من نوع موزة، وخسر الجيش الفرنسي في هذه العملية 17 جندي كقتلى و25 جريح، وفي المقابل استشهاد مجاهدين إثنين.

– تمشيط جبال بئر العاتر يوم 03 مارس 1958، وكانت السيارات العسكرية الفرنسية بتبسة تقطع كل ليلة ما يعادل 200 كلم حول الشريط الحدودي ويتضاعف هذا الرقم أثناء العمليات العسكرية وفي حالة الاشتباكات مع مطلع سنة 1957 وحتى نهاية سنة 1958[46].

ج– إقامة خط موريس: دوافع الإنشاء، آثاره وانعكاساته، إستراتيجية الثورة في مواجهته.

كلفت الحكومة الفرنسية في جوان 1957 وزير الدفاع الفرنسي اندريه موريس (André Morice) والمسؤول العسكري ماتيار (Métayer) بدراسة الوضعية على الحدود الجزائرية التونسية، وأثناء زيارته للجزائر اجتمع اندريه موريس في عنابة بالوزير المقيم روبير لاكوست والجنرالين ايلي (Ely) رئيس هيئة الأركان العامة والجنرال صالان (Salan)، ثم تابع مهمته مع المسؤول ماتيار باتجاه وهران، تلمسان فالحدود الجزائرية المغربية وطلب من الحكومة الفرنسية رفع قواتها بالنسبة لجميع الأنواع[47].

خلال اجتماع الوزراء المنعقد بتاريخ 26 جوان1957 بـ L'Elysée بحضور ريني كوتي (René Coty) ، عرض روبير لاكوست بيان عن الوضعية الحالية بالجزائر وألحّ على ضرورة الغلق الكامل للحدود وهذا بغية وضع حد لتمرير الأسلحة للثوار، علما أن البيان تضمن مجموعات القوات العسكرية المنتشرة على الشريط الحدودي التونسي والمغربي[48].

تعددت أهداف ودوافع انجاز سد موريس لكنها كلها تتمحور حول نقطة واحدة وهي خنق الثورة وتصفيتها عن طريق منع الإمداد عنها مهما كان نوعه وخدمة للمصالح الاقتصادية الفرنسية ويمكن ذكرها كالآتي:

عزل الثورة وحرمانها من الاستفادة من القطر التونسي والذي مثلت أراضيه ملاذا لجيش التحرير الوطني للراحة أو الانسحاب والتمويل وشيئا فشيئا أصبحت قواعد خلفية وكذا منع، أي عبور للمجاهدين وحرمانهم من الإمداد ومن أي دعم وتدريب عسكري[49] .

كشف وضبط وتحديد حركة ومكان المجاهدين على مستوى الخط المكهرب بواسطة الإعثارات القَبْلِيَّة والرادارات وإجهاض محاولات العبور وتيسير التدخل السريع لجيش العدو ومنه عزل ولايات الداخل عن قيادة الثورة في الخارج ومنع قادة الولايات من التنقل باتجاه الخارج[50]، مما يسهل عزل الثورة وتصفيتها[51].

الترويج لفكرة أن الثورة تتغذى أساسا من التأييد الخارجي وليس لها جذور داخل الجزائر، وعملت السلطات الفرنسية وبذلت من الجهود للدعاية لهذا الطرح منذ هجومات أول نوفمبر 1954 حينما أرجعتها إلى أنها تنفيذ لتعليمات واردة من أطراف خارجية والمتمثلة في القاهرة[52] .

لقد أثر التطور العسكري للثورة على الاقتصاد الاستعماري والذي بدأ يتجه نحو الإفلاس بسبب ارتفاع النفقات العسكرية والتخريب الذي لحق بالمؤسسات الاقتصادية، كما أن إنشاء خط موريس بمحاذاة السكة الحديدية يجعلنا ندرك رغبة وحرص فرنسا على ضمان أمن وسلامة القطارات التجارية الناقلة للحديد من مناجم بوخضرة والونزة والكويف وهذا لمصالح فرنسا والدول الأوروبية.

كانت القطارات التجارية تشحن يوميا ما مقداره 150 طن من الفوسفات و6500 طن من مختلف المعادن، وقد أدى النشاط العسكري للثورة بالسلطات الاستعمارية إلى تعزيز المراقبة لتجنب الخسائر المتزايدة، حيث بلغت هجومات جيش التحرير الوطني من نوفمبر 1954 إلى 31 أكتوبر 1957 حوالي 730 هجوم ضد القطارات و227 عملية ضد المحطات حصيلتها 100 قتيل و400 جريح[53]، لذلك كان تأسيس السد والذي سيساهم في دعم الحماية المخصصة للسكك الحديدية والطريق الرابط بين ميناء عنابة للتصدير ومناجم الكويف وضواحي تبسة، واعتبرت فرنسا هذا الحاجز فضلا عن أنه جهاز مراقبة فهو كذلك يقوم بدور المنبه والمؤشر للتجاوزات التي يقوم بها المجاهدون[54]، كما لم تسلم الحدود الغربية من آلية السدود المكهربة وهذا لقطع الإمداد بالسلاح والتموين من المغرب[55].

لم يدرك قادة الثورة في بداية الأمر أن خط موريس سيحوّل إلى حقلٍ للموت، ونظروا إليه نظرة سطحية وصرح محمود الشريف بأن الأسلاك الشائكة لا تشكل مخاطر جدية بالنسبة لجيش التحرير الوطني[56] وهي نظرة تهوينية قائمة على سوء تقدير، وقد ذكر المجاهد بشير هيبي قائلا:"كنا نأتي خط موريس ليلا ونتلف ونخرب منه مساحات كبيرة وكنا نقول هل تظن فرنسا أننا دجاج حتى تسيّج علينا بمثل هذا السياج وتجعلنا في قفص" وهذا أثناء بداية وصول أشغال الانجاز إلى تبسة[57].

وقد تساءل المدنيون الذين عملوا كعمال مؤقتين في ورشات بناء السد عن إمكانية الاستمرار في العمل والامتثال للأوامر الفرنسية فيما يخص البناء أو التوقف عن ذلك، فطلبت منهم قيادة الثورة مواصلة العمل وتسليمها جزءا من أجورهم لان الثورة بحاجة إليها[58].

فيما يخص الوصف التقني لهذا السد إمتد خط موريس من شاطئ البحر شرق عنابة إلى جنوب مدينة تبسة على مشارف الصحراء[59]، حيث ينطلق من عنابة فوادي الكبير على بعد 20 كلم على الحدود التونسية، ويمر بإبن مهيدي، الذرعان، بوشقوف، شيحاني، إذ يتفرع عن هذه النقطة إلى قسمين لحماية طريق السكة الحديدية، ثم ينزل نحو سوق أهراس، مداوروش، العوينات، إلى تبسة يصعد باتجاه الكويف ثم ينزل باتجاه بكارية، الماء الأبيض، أم علي، بئر السبيخة، بئر العاتر، نقرين، ليتجه نحو شط الغرسة على مسافة يبلغ طولها 480 كلم، في حين يختلف عرض الخط من منطقة إلى أخرى تبعا لطبيعة التضاريس حيث يتباين بين 06 و12 مترا إلى غاية

60 مترا، وقد بلغت قوة التيار الكهربائي به 500 فولط، ولقد بدأت أشغال انجاز هذا السد في نهاية سنة 1956 وانتهت في سبتمبر 1957[60].

زُوِّدَ الجهاز بالتحصينات التالية: شبكة إنذار، شبكات الأسلاك الشائكة، أسيجة مكهربة، شباك دائري، سياج ضد البازوكا، ممر للحراسة، ممر تقني، الألغام والتي تكفلت فرق الهندسة العسكرية بزرعها على طوله،أضواء كاشفة،شبكة الاتصال بواسطة الراديو، تجهيزات ضوئية تحت الأشعة الحمراء[61].

لحماية هذا الخط ومراقبته تم تأمينه بحراسة يسهر عليها عشرات الآلاف من الجنود توزعوا على طوله وكذا بهدف ضمان أمن وسلامة المراكز العسكرية الممتدة على فضائه الجغرافي، وقد شمل الحشد العسكري الكبير القوات البرية، سلاح المدفعية والمشاة والإشارة والمظليين وكذا سلاح الهندسة العسكرية، وسلاح الطيران، وكان التوزيع كالآتي:

قبل الخط المكهرب 04 فيالق لضمان تغطية خط موريس، وقد تمثلت هذه الفيالق في الفيلق الثالث للمشاة الأجانب، الفيلق 26 للمشاة الميكانيكية، فيلق المشاة الميكانيكية 153 ونصف فرقة للقناصين.

على مستوى الخط المكهرب 06 فيالق اضطلعت بعملية التمشيط وضمت Dragon 18eme ، والفيلق الأول والثاني للخيالة الأجانب، وكذا Husserds 1er.

خلف الخط المكهرب 06 فيالق وهي الفيلق الثالث للقناصة السينغاليين، فيلق المشاة الميكانيكية51، فيلق المشاة 60، فيلق المشاة الميكانيكية 55، الفيلق الرابع للمشاة، الفيلق السادس للخيالة المغاربة، كما وضعت 05 فيالق على الدروب المهمة التي يمر من خلالها الثوار[62].

لضمان المراقبة الصارمة لخط موريس زُود بسلسلة من الرادارات التي تم توزيعها على القسم الجنوبي من الخط إبتداءا من تبسة إلى نقرين، تتكون من 09 محطات منها محطة نقرين، محطة سوكياس، محطة الماء الأبيض، محطة بئر السبايكية، يصل مدى المراقبة التي تمارسها هذه الأجهزة حتى إلى التراب التونسي، كما تمكنت من رصد تحركات جنود جيش التحرير الوطني بالمواقع الخلفية.

تعمل هذه الرادارات على مراقبة الأراضي المسطحة الممتدة على الحدود وكذلك الممرات الواقعة بين الجبال مثل الممر بين البطنة وجبل فوة وأيضا الممر الواقع بين جبل فج الصيودة وجبل بوجلال، وفيما يخص المنطقة الواقعة شمال تبسة باتجاه عنابة فقد زودت بحوالي 15 رادار[63].

تعددت آثار خط موريس على الثورة فقد أعاق بشكل قوي عمليات الإمداد وشكل عزلة الداخل كما أثر على النشاط العسكري للثورة ويمكن تفصيل ذلك كالآتي:

كان إمداد الولاية الأولى والثانية والثالثة يتم عبر الجهة الشرقية وفي البداية كان سير القوافل سهلا[64]، لكن بعد إنشاء السد المكهرب والذي رمت فرنسا بكل ثقلها فيه[65] تعسر الأمر وأصبح هذا السد تحدي حقيقي للثورة وأفرز وضعا جديدا انعكس سلبا على هذه الأخيرة[66].

تعرض الكثير من جنود جيش التحرير الوطني للإبادة أثناء مرورهم بالحدود محملين بالسلاح والذخيرة جراء انفجار الألغام والقصف المدفعي المركزي والمطاردة من طرف جيش العدو فضلا عن عمليات الملاحقة والإبادة التي

تقوم بها الطائرات الاستكشافية والعمودية، وحسب المجاهد لخضر بورقعة أن المسافة بين الولاية الثالثة والرابعة شاسعة وكان المجاهدون يقطعون مسافة ألفين كلم ذهابا وإيابا إلى الحدود الشرقية وأن الولاية الرابعة فقدت ثلاثة آلاف مجاهد كشهداء في الولاية الأولى بين الجبل الأبيض وبحيرة العصافير وخنشلة، وإزاء هذا الوضع أوقفت الولاية الرابعة إرسال دوريات الإمداد بالسلاح، وقد أكد العقيد عميروش بأن السد المكهرب كلفهم خسائر في الأرواح سنة 1958 وبأن المجاهدين بحاجة إلى السلاح أكثر من الأكل واللباس، كما أكد الطيب الصديقي استشهاد الكثير من ثوار المنطقة الثالثة أثناء اتجاههم للحدود الشرقية بغرض التسليح وأن بعض القوافل يعود منها فقط الربع أو الثلث[67].

أدت عوائق السد المكهرب إلى التأثير على حركية الثورة بسبب المخاطر التي تشكلها عمليات العبور إلى التراب التونسي، أوقفت الولاية الرابعة دوريات جلب الأسلحة[68]، وإزاء وضعية بقاء كميات كبيرة من الأسلحة مودعة في مخازن ليبيا وتونس وهي بحاجة لنقلها وتمريرها إلى الثوار داخل التراب الجزائري أكد فتحي الذيب لعمر اوعمران أنه لن يستجيب له في طلب جديد للأسلحة وأن الأسلحة التي تم إرسالها خلال ستة أشهر من سنة 1958 كافية لتسليح جيش قادر على القتال لفترة طويلة، وأن عليه شحن ونقل وتمرير أسلحة مخازن ليبيا وتونس وبعد ذلك سيستجيب له في طلبات جديدة للأسلحة[69].

بعد تمام إنشاء خط موريس أصبح مرور وحدات جيش التحرير الوطني وقوافله ضربا من ضروب المخاطرة والمغامرة[70] كما استحال تقريبا المرور إلى القواعد الخلفية[71]، وتعسر نقل الجرحى إلى التراب التونسي[72]، ونتج عن عمليات المرور إستشهاد الكثير أثناء محاولات العبور[73] بسبب انفجار الألغام والقصف المدفعي المكثف والمركّز إلى جانب الملاحقة والمطاردة من طرف قوات الاستعمار، وغالبا لعبت الطائرات الاستكشافية والعمودية الدور في عمليات الملاحقة والإبادة، وهذا ما أدى بالعقيد عميروش إلى ترأس اجتماع صيف 1958 بأكفادو ركز خلاله على الجانب العسكري واقعا وآفاقا إزاء تأزم الوضع في الداخل نتيجة التطويق الحدودي والخسائر الفادحة في الأرواح والعتاد خاصة سنة 1958 بسبب السد المكهرب وحقول الألغام، وأكد عميروش أن المشوار مازال شاقا وأن جيش التحرير الوطني في أمَسِّ الحاجة إلى السلاح[74].

أدت الرقابة الشديدة على الحدود إلى استرجاع جيش العدو روح المبادرة العسكرية حيث تمكن منذ أكتوبر 1957 من خفض نسبة العبور وهذا ما خلق عزلة الداخل، لاسيما بعد توقف الولايات الداخلية عن إرسال دورياتها بغرض جلب السلاح[75]، لذلك تم عقد اجتماعا بالداخل حضره العقيد عميروش عن الولاية الثالثة، سي محمد عن الولاية الرابعة، الحاج لخضر عن الولاية الأولى، سي الحواس عن الولاية السادسة، دام من 06 إلى 12 ديسمبر 1958، عالجوا فيه عدة قضايا تتعلق بمصير الثورة أهمها عزلة الداخل عن الخارج بسبب السد المكهرب وتعزيزاته والذي عرقل حركة جيش التحرير الوطني وجعل مهمة الإمداد من الأمور الشاقة والعسيرة[76]، وضرورة إيجاد قيادة في الميدان تكون أكثر اطلاعا بمعاناة المجاهدين، وفي هذا السياق صرح فرحات عباس: "إن توجيه الحرب من القاهرة أو تونس يعتبر خطأً، ووجود لجنة التنسيق والتنفيذ بالجزائر حتى وإن كانت حركتها محدودة أفضل من غيابها عن الوطن"[77].

أوجد خط موريس وضعا خطيرا وهو التهديد بانقطاع الإمداد بالسلاح، ولتأمين هذه الحاجة الماسة في ظل هذه الظروف الجديدة قدمت الثورة الكثير من أرواح أبنائها، وخلال السداسي الأول من سنة 1958 جرت معارك طاحنة على الحدود الشرقية[78] في أماكن عدة منها الماء الأبيض، نقرين، مرسط، وكانت المبادرة لجيش العدو في إطار إستراتيجية القضاء على الدعم الخارجي[79] وهذا إثر مرور دوريات التسليح للولايات الثانية والثالثة والرابعة إلى الولايتين الأولى والسادسة مما ألزم اختراق الحاجز المكهرب والملغم عن طريق وسائل جيش التحرير الوطني ثم المرور،

لكن الثمن كان باهظا في الأرواح والأسلحة[80].

كانت مدة انتقال دوريات التسليح والتموين قد تطول أو تقصر حسب الظروف والمسافة، قد تصل أحيانا إلى شهرين أو ثلاثة وقد يتم القضاء كلية على الدورية أو إلحاق خسائر فادحة بها في الأرواح والعتاد، ومع ذلك تستمر الدوريات في عبورها لخط الموت وتتجدد المعارك حتى أنها بلغت بين أوائل ديسمبر 1957 وجانفي 1958 ثلاثين معركة، وكانت سنة 1958 وما بعدها من أصعب المراحل وأكثرها دموية وخسائر، هناك من الفرنسيين من ذكر أنه خلال الأربعة أشهر من فيفري إلى أواخر ماي 1958 خسرت الثورة أكثر من ألفين مجاهد و3877 قطعة سلاح تم جلبها من المناطق المتاخمة للحدود التونسية على اعتبار أن كل جندي يحمل سلاحين أثناء عملية العبور، وذكرت إحدى البلاغات الإستعمارية أنه في الفترة من 13 إلى 21 ماي 1958 تم القضاء على 470 ثائر وتسجيل 300 بين قتيل وجريح من عناصر الجيش الفرنسي.

لقد أصيب جيش التحرير الوطني سنة 1958 بخسائر كبيرة جدا في الأرواح والعتاد وهذا لأنه أثناء اختراقه لحقول الألغام والسد الشائك كان مضطرا إلى خوض معارك مكشوفة، ورغم خسائره أصرّ على التحدي وتصدى لكل العراقيل والصعاب وواصل عمليات العبور لتأمين الإمداد بالسلاح والذخيرة حفاظا على استمرار الثورة[81].

لم تستسلم الثورة تجاه العبقرية الفرنسية وما أنتجته (خط الموت)، لقد ابتكرت عدة طرق للرد على هذه التقنية، تتمثل هذه الحلول في إنشاء الفيالق، العبور بكيفيات معينة، الهجوم على خط موريس، والتدريب والتكوين العسكري.

تم إحداث فيالق جديدة انطلاقا من سنة 1958 كُلفت بمهمة قوات الإسناد الموكولة بحماية قوافل التسليح في الفضاء الممتد على حدود القاعدة الشرقية والولاية الأولى والثانية مما تسبب كثيرا في معارك دامية[82]، كما اعتمدوا على مرور القوافل عن طريق قطع المسافات الطويلة عبر الصحراء والعبور ما وراء منطقة نقرين وعبر طريق منطقة الربايع وفزان والآجر[83].

يشكل العبور إحدى استراتيجيات الثورة لمواجهة سد الموت (خط موريس)، وكان هذا لا يتم بمعزل عن معرفة مواطن الخطر ودرجته عبر مختلف شبكات هذا السد، كما لا يتم دون البحث عن الوسائل الملائمة لإحداث الثغرات وسطه والقادرة على الإنقاص من حجم الخسائر البشرية ونسبة الخطر، بالإضافة إلى السعي باستمرار لتطوير كيفيات ووسائل العبور بالموازاة مع التعزيزات والتحصينات التي تنجزها السلطات الاستعمارية على السد المكهرب[84].

كما عمل جيش التحرير الوطني على شن الهجومات المتكررة على الخط المكهرب لفتح ثغرات به[85]، ونصب الكمائن قرب الخط المكهرب ومهاجمة مختلف الآليات من عربات ومصفحات وكذلك المراكز الأمامية ونقاط المراقبة، فضلا عن زرع الألغام بطرق مرور الدبابات بمنأى عن الخط المكهرب مع تكليف دوريات المجاهدين بالقيام بعمليات الاستطلاع الدقيقة والمتواصلة[86]، والهجوم أيضا على المراكز الفرنسية المنتشرة على الشريط الحدودي منها مركز الماء الأبيض، الخنيق، تنوكلة...، وبعد تمركز جيش التحرير الوطني بالتراب التونسي كانت وحداته تنطلق من أماكن مختلفة بتونس منها عين غرم، جنان بن فالية، الحفرة...، يتم قطع الأسلاك الشائكة والدخول إلى التراب الوطني تاركة أفواج الحماية قبل الدخول إلى الحدود الجزائرية والتي تتكفل بتغطية المجاهدين وتأمينهم من الخلف والذين بعد هجوماتهم يعاودون الرجوع تقريبا من نفس الطريق الذي دخلوا منه ومن آثار هذه الهجومات مضايقة الجيش الفرنسي والضغط على نفسيته، ومن بين الأسلحة التي تم استعمالها في هذه الهجومات مورتيي 80 و75.

لم يقتصر نشاط المجاهدين بالشريط الحدودي على الهجومات وعمليات العبور وإنما تعداه إلى نصب الكمائن بالحدود ومثال ذلك الكمين الذي خطط له نائب المنطقة السادسة عثمان جلالي بموقع الحفرة ضد وحدات الجيش الفرنسي القادمة من الماء الأبيض وبكارية باتجاه التراب التونسي، نفذ هذا الكمين مجموعة من جنود عبد المجيد بلغيث وعناصر من كتيبة محمد الصيد التابعة لفيلق صالح الزيدي[87].

أدركت قيادة الثورة انه لا يمكن تحقيق الانتصار العسكري، كما يتعذر استعادة زمام المبادرة ما لم تسعى جاهدة إلى تطوير جيش التحرير الوطني وتحديث قدراته القتالية بشكل يتناسب وتطوير وسائل الجيش الفرنسي والمعززة بأحدث التقنيات أخطرها الخط المكهرب، لذلك أولت اهتمامها وصرفت طاقتها وأرسلت جنودها للتدريب العسكري[88] في ليبيا، المغرب، مصر، وتونس[89]، والتي من مراكزها قابس، القصرين، الكاف، غارديماو، الرديف، فريانة، تالة، وغيرها.

يشمل التدريب والتكوين العسكري أساليب وفنون القتال والتحكم في بعض المعدات والأسلحة[90]، وفي هذا الصدد يذكر احمد حفظ الله من المنطقة مجال الدراسة انه تلقى تكوينا بمدرسة الكاف على كيفية استعمال والتعامل مع مختلف الأسلحة، كما تكون على طريقة قطع الأسلاك الشائكة[91]، كما قدم هذا الهيكل التكويني دروس مختلفة متعلقة بالجانب النفسي والأساليب المضادة التي يتبعها العدو[92]، وقدمت مدرسة ملاق بتونس تكوينا للضباط للتخصص في المدفعية والمتفجرات وآخر خاص برجال الصاعقة وتكوين ثالث شبه طبي للتكفل بالمجاهدين المصابين على وجه السرعة[93].

في إطار التصدي للخط المكهرب، قامت الولاية الأولى بإرسال إطارات من مختلف مناطقها وهذا للاستفادة من التكوين والتدريب العسكري بمصر، ومن بين الذين تم إرسالهم من منطقة تبسة نذكر الحسناوي خالدي وعثمان سماعلي، واللذان تلقيا تكوينا بمدرسة الصاعقة وآخر بمدرسة الماضة، وثالث بالقاهرة موضوعه كيفية التعامل مع الأسلاك الشائكة[94].

كما تم تكوين العديد من العناصر على زرع ونزع الألغام وبرز في هذا المجال بالمنطقة مجال الدراسة محمد السنوسي النقريني والذي عمل على تدريب الكثير من المجاهدين في هذا التخصص، ومن بين الذين تم تدريبهم في هذا الأمر نذكر عوين يونس والذي قام بعملية زرع ناجحة للألغام بسوكياس في خريف 1958 وتمت مكافأته بمنحه رتبة رقيب أول[95] .

يعتبر عمل أفواج نزع وزرع الألغام من المهام العسيرة جدا، عليها يتوقف نجاح أو فشل عملية اجتياز السد دخولا أو خروجا فهم الذين يكونون في مقدمة الوحدات العابرة للسد ويهيئون لها الطريق بعد إزالة الألغام، يفتقرون للوسائل المزيلة للألغام، طرق عملهم تقليدية حيث يمررون أيديهم والخنجر لاقتلاع الألغام ووضعها جانبا أو تجميعها لتزرع لاحقا في أماكن أخرى، كما كانوا يستخدمون مادة القطن كمادة عازلة والتي توضع فوق الألغام حتى يتجنبها المجاهدون أثناء عملية السير[96].

د- إنشاء المنطقة المحرّمة على امتداد الشريط الحدودي الشرقي:

بعد إنشاء السد المكهرب ولتوسيع أثره بهدف عزل الشعب وحرمان الثوار من أي مدد[97]، وافقت الحكومة الفرنسية يوم 19 فيفري 1958 على إنشاء منطقة محرمة جديدة ممتدة على الشريط الحدودي مع تونس[98]، وهذا لإجبار جيش التحرير الوطني على الدخول في منطقة جهنمية خالية من السكان مملوءة بالألغام وتحت الرقابة المستمرة للجيش الفرنسي، هذا الأخير الذي شرع منذ شهر فيفري في إجلاء الشريط الحدودي من السكان والواقع امتداده من البحر إلى مشارف الصحراء بعمق يصل أحيانا إلى 50 كلم ويقع غرب السد الشائك، تم تشريد الجزائريين ومصادرة أموالهم فضلا عن تشديد الرقابة على هذا الحيز الجغرافي حتى أنهم سموه خط الموت[99].

ولتضليل الرأي العام الدولي أعلنت السلطات الاستعمارية أن عدد سكان هذا الشريط الحدودي يقدر بـ 70 ألف نسمة، وكان تعدادهم في الحقيقة يزيد عن 300 ألف نسمة وهذا حسب الإحصائيات الفرنسية نفسها وإذا أنقصنا عدد اللاجئين فيعني أن ما يقدر بـ 265 ألف نسمة عرضة للإبادة المطلقة، لقد عزمت فرنسا على جعل هذه المنطقة ميتة من خلال زرع الألغام وعمليات القتل والإلقاء المتواصل للقنابل دون انقطاع وبالتالي القضاء على كل شيء، وحشدت أقصى ما يمكن لتطهير المنطقة وبرهنت بذلك أنها دخلت في طور جديد من أطوار حرب الإبادة المطلقة الشاملة، وكان معظم تراب منطقة تبسة من النواحي المهددة بالإبادة في المنطقة المحرمة حيث يضم 14 دوار ومركز وقرية، وقدر عدد سكانه بـ 87459 نسمة، وبمجرد إنشاء هذه المنطقة أخذت جحافل اللاجئين تتدفق إلى تونس[100].

خاتمة:

– للتصدي للثورة وخنقها فتصفيتها رتبت فرنسا إستراتيجية ذات أوجه متعددة واستخدمت في ذلك كل الوسائل التشريعية والمادية والبشرية وركزت على الخيار العسكري كأسلوب لتحقيق الانتصار.

– وفق الخيار العسكري الذي تبنّته فرنسا منذ البداية زادت من الترسانة العسكرية وكثفت من عملياتها.

– جعلت معظم تراب المنطقة فضاءا محرما يمنع الإقامة به أو دخوله أو حتى عبوره، وفي سبيل هذا المنع عملت على تهجير السكان من أراضيهم وديارهم وتوجيههم إلى مناطق أخرى مكشوفة موقعها قريب من ثكنات ومراكز جيشها، أو إلى المحتشدات ومراكز التجميع والتي خضعوا فيها إلى إجراءات قمعية عانوا فيها مرارة العيش، ومن جهة أخرى تقلص تموين الثورة الذي كان مصدره أفراد الشعب.

– لخنق الثورة أنشأت فرنسا السد المكهرب (خط موريس) وهذا حتى تمنع وصول أي إمداد من الشرق كما تمنع التنقل إلى مؤسسات الثورة بتونس وقواعدها الخلفية، وكان لهذا السد الأثر البالغ في سقوط المجاهدين كشهداء، تراجع تسليح الثورة، إستقرار جيش التحرير الوطني بالتراب التونسي وفقدانه المبادرة العسكرية.

الهوامش:

[1] – Shat: rapport sur les confins algèro-tunisien et la zone frontière.

[2] – فريد نصر الله: التطور السياسي والعسكري والتنظيمي للثورة التحريرية بمنطقة تبسة 1954– 1958، مذكرة لنيل شهادة الماجيستار في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر (2)، 2016، ص ص 99– 103 .

[3] – دومينيك فارال: معركة جبال النمامشة (1954– 1962) مثال ملموس من حرب العصابات والحرب المضادة، تر: مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2008، ص 97 .

[4] – فريد نصر الله: المرجع السابق، ص ص 103– 104 .

[5] – Shat : 1H 2894: le préfet de Constantine, réquisition, le 05 Octobre 1954.

[6] – يوسف مناصرية: دراسات وأبحاث حول الثورة التحريرية 1954–1962،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 93– 94.

[7] – Shat:1H 2894, le général Cdt de la division de Constantine au Commandant de secteur de Tébessa, télégramme officiel, le 26 Octobre 1954.

[8] – Shat: état major de l'armée- 3eme bureau, compte rendu relatif sur la situation en Afrique du Nord, 18 décembre 1954 .

[9] – فريد نصر الله: المرجع السابق، ص 107، ص 134 .

[10] – جمعية الجبل الأبيض لتخليد وحماية مآثر الثورة: ملتقى دور مناطق الحدود إبان الثورة التحريرية، (د.ن)، تبسة، (د.ت)، ص 175 .

[11] – دومينيك فارال: المصدر السابق، ص 160 .

[12] – Shat: la 14eme division d'infanterie .

[13] – دومينيك فارال: المصدر السابق، ص 85، ص ص 92 – 100 .

[14] – Shat: 1H 1806, 10eme région militaire –état major- 3eme bureau, directive sur l'emploi des groupes légers, Alger, le 18 juin 1954.

[15] – دومينيك فارال: المصدر السابق، ص 101 .

[16] – فريد نصر الله: المرجع السابق، ص 105 .

[17] – يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 93 .

[18] – فريد نصر الله: المرجع السابق، ص ص 105- 106 .

[19] –Djamel Eddine Ben Salem: voyez nos armes voyez nos médecins, ENL, Alger, 1985, p 38 .

[20] – جريدة المجاهد: المناطق المحرمة بدأت منذ بداية الثورة، العدد 20، 15مارس، 1958، ص 05 .

[21] – A.W.C, Boite N°14 zones interdites à lest algérien, carte militaire( ) .

[22] – المنظمة الوطنية للمجاهدين: التقرير الجهوي للولاية الأولى المقدم للملتقى الوطني الثالث لتسجيل أحداث الثورة التحريرية من 20 أوت 1956 إلى 31 ديسمبر 1958، ص 62 .

[23] – جريدة المجاهد: في المناطق المحرمة بالجزائر ...كل يوم ساقية سيدي يوسف، عدد 18، 15 فيفري 1958، ص 08 .

[24] – A.W.C, Boite N°14 zones interdites à Tebessa, carte militaire(.)

[25] – فريد نصر الله: المرجع السابق، ص ص 133- 134

[26] – المرجع نفسه، ص 136 .

[27] – A.W.C, Préfecture de Constantine (centre de liaison), bulletin N° 15 au 14, informations du 15 Janvier 1957 .

[28] – دومينييك فارال: المصدر السابق، ص 159 .

[29] – يوسف مناصرية: المرجع السابق، ص 104 .

[30] – محمد عجرود: أسرار حرب الحدود 1957-1958، الشهاب، (باتنة، الجزائر)، 2014، ص 55 .

[31] – يوسف مناصرية: الأسلاك الشائكة وحقول الألغام، منشورات م.و.د.ب.ح. ث.ن.54، الجزائر، 2007، ص 75.

[32] – محمد عجرود: المرجع السابق، ص 17، ص ص 54-58 .

[33] – يوسف مناصرية: الأسلاك الشائكة...، المرجع السابق، ص ص 80-87 .

[34] – الغالي غربي: فرنسا والثورة الجزائرية 1954-1958 (دراسة في السياسة والممارسات)، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 343 .

[35] – دومينيك فارال: المصدر السابق، ص 110 .

[36] – الغالي غربي: المرجع السابق، ص 345 .

[37] – La dépêche de Constantine: Tébessa - El Malabiod – passation de commandement au 6eme cuirassiers, N° 16235 du 03 juillet 1958.

[38] – فريد نصر الله: المرجع السابق، ص 174 .

[39] – A.W.C, Préfecture de Constantine (centre de liaison), bulletin N° 26, informations du 27 Janvier 1957 . 27au

[40] – فريد نصر الله: المرجع السابق، ص 174 .

[41] – A.W.C, Préfecture de Constantine (centre de liaison), bulletin N°124, informations du 03 au 04 Mai 1957 .

[42] – A.W.C, Préfecture de Constantine (centre de liaison), bulletin N°140, informations du 19 au 20 Mai 1957 .

[43] – A.W.C, Préfecture de Constantine (centre de liaison), bulletin N°146, informations du 25 au 26 Mai 1957 .

[44] – La dépêche de Constantine: l'organisation rebelle de Tébessa anéantie, N° 15941, du 30, p 01, p 03 .7Juillet 195

[45] – A.W.C, Préfecture de Constantine (centre de liaison), bulletin N°172, informations du 20 au 21 Juin 1957 .

[46] – فريد نصر الله: المرجع السابق، ص ص 174- 176 .

[47] – La dépêche de Constantine: Mr. André Maurice…notre volonté de maintenir l'Algérie

. , p 01, p 08764, du 23 et 24 Juin 195159française, N°

[48]- Robert Lacoste souligne la nécessité d'un verrouillage La dépêche de Constantine: Mr. . , p 01, p 037 Juin 19527, du 76159complet de frontière algériennes, N°

[49] – يوسف مناصرية: الأسلاك الشائكة...، المرجع السابق، ص 22 .

[50] – جمال قندل: خطا موريس وشال وتأثيراتهما على الثورة التحريرية 1957- 1962، (د.ن)، الجزائر، 2008، ص 61.

[51] – محمد العربي براهمي: جيش التحرير ومعارك عبور خطي شال وموريس الملتهبة، أشغال ملتقى دور مناطق الحدود إبان الثورة التحريرية، جمعية الجبل الأبيض، تبسة،(د.ت)، ص 77 .

[52]- Synthèse de renseignement Shat: *10T 489 EMAT, État-major de L'Armée (2ème bureau) sur les activités subversives en Afrique du Nord du 29 Octobre au 04 Novembre 1954, Paris, 05 Novembre 1954.

[53] – جمال قندل: المرجع السابق، ص ص 61-62 .

[54] – يوسف مناصرية: الأسلاك الشائكة ...، المرجع السابق، ص 24 .

[55]- Bellahsene Bali: El Hamma, (Alger) 2004, le colonel Lotfi, Bibliothèque National d'Algérie, 162 p .

[56]- Gilbert Meynier : histoire intérieure du FLN 1954 – 1962, Fayard, France, 2004, p 309 .

[57] – جمال قندل: المرجع السابق، ص 49 .

[58] – يوسف مناصرية: الأسلاك الشائكة ...، المرجع السابق، ص 25 .

[59]- Yahia Bouaziz : les insurrections au vingtième siècle, tr: Babouche Hafidi, Ministère des Moudjahidine, Alger, 2007, p256 .

[60] – عبد الحميد عوادي: تقرير القاعدة الشرقية، الملتقى الوطني الأول حول الأسلاك الشائكة بولاية النعامة، 18- 19جوان 1996، تسجيل مصلحة السمعي البصري، م . و.د.ب.ح.ث. ن 54، شريط سمعي بصري .

[61] – جمال قندل: المرجع السابق، ص ص 50-53، ص ص 65-67، ص ص 75- 76 .

[62] – المرجع نفسه، ص ص67- 68 .

[63] – يوسف مناصرية: الأسلاك الشائكة...، المرجع السابق، ص ص 100-101 .

[64] – جمال قندل: المرجع السابق، ص 94 .

[65] – مصطفى بيطام: الحواجز المكهربة والأسلاك الشائكة والألغام، مجلة الذاكرة، العدد 06، نوفمبر، 2000، منشورات م.و.د.ب.ح.ث.ن.54، الجزائر، ص 51 .

[66] – جمال قندل: المرجع السابق، ص 94 .

[67] – المرجع نفسه، ص 94 .

[68] – نفسه، ص96 .

[69] – فتحي الذيب: عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984، ص 376 .

[70] – جمال قندل: المرجع السابق، ص 93 .

[71]- Gilbert Meynier: Mohamed Harbi, le FLN documents et histoire 1954– 1962, Casbah, Alger, 2004, p 88 .

[72] – جمال قندل: المرجع السابق، ص 93 .

[73] – محمد العربي براهمي: المصدر السابق، ص 82 .

[74] – جمال قندل: المرجع السابق، ص 94، ص 96 .

[75] – المرجع نفسه، ص ص 95- 96 .

[76] – Mohamed Teguia: L'armée de libération nationale en Wilaya 04, (Casbah, Alger), 2002, pp 98 - 99 .

[77] – جمال قندل: المرجع السابق، ص ص 100 - 101 .

[78] – المرجع نفسه، ص 91 .

[79] – Abderazak Bouhara : Les viviers de la libération, Casbah, (Hydra, Alger), 2001, p 290 .

[80] – جمال قندل: المرجع السابق، ص 91 .

[81] – جمال قنان: لمحة تاريخية عن جيش التحرير الوطني، الملتقى الدولي حول نشأة وتطور جيش التحرير الوطني المنعقد بفندق الاوراسي من 02 إلى 04 جويلية 2005، منشورات م.و.د.ب.ح.ث.ن 54، الجزائر، 2010، ص93.

[82] – الطاهر جبلي: دور القاعدة الشرقية في الثورة الجزائرية، 1954 – 1962، دار الامة، (برج الكيفان، الجزائر) 2013، ص 181.

[83] – يوسف مناصرية: دراسات وأبحاث...، المرجع السابق، ص291 .

[84] – جمال قندل: المرجع السابق، ص 112 .

[85] – رمضان بورغدة: الثورة الجزائرية والجنرال ديغول 1958- 1962 (سنوات الحسم والخلاص)، بونا للبحوث والدراسات، (عنابة، الجزائر)، 2012 ، ص 281 .

[86] – محمد العربي براهمي: المصدر السابق، ص ص 88- 89 .

[87] – شهادة بوطالب لعروسي: مقابلة شخصية معه يوم 11 مارس 2015 بمقر منظمة المجاهدين لولاية تبسة.

[88] – جمال قندل: المرجع السابق، ص 117 .

[89] – Yahia Bouaziz : op.cit , p 257.

[90] – جمال قندل: المرجع السابق، ص 118 .

[91] – شهادة احمد حفظ الله: مقابلة شخصية معه بتاريخ 16 مارس 2015 بمنظمة المجاهدين لولاية تبسة .

[92] – مدني بجاوي: ذكرياتي بالمدرسة الحربية لإطارات جيش التحرير الوطني (تونس) لسنتي 1957 – 1958، مجلة أول نوفمبر، عدد 175، ديسمبر 2011 ، ص 72 .

[93] – ع-ه: المدارس العسكرية في الحدود الشرقية أثناء الثورة، مجلة أول نوفمبر، العدد 65، 1984، ص 30 .

[94] – شهادة عثمان سماعلي: مقابلة شخصية معه بتاريخ 14 فيفري 2015 ببيته بتبسة.

[95] – شهادة يونس عوين: مقابلة شخصية معه بتاريخ 14 ماي 2015 بمنظمة المجاهدين لولاية تبسة .

[96] – جمال قندل : المرجع السابق، ص 118 .

[97] – يوسف مناصرية: الأسلاك الشائكة...،المرجع السابق ،ص 30 .

[98] – Khalfa Mameri : Histoire de la guerre d'Algérie jour après jour, Thala, Alger,2012, p124.

[99] – يوسف مناصرية: الأسلاك الشائكة...، المرجع السابق، ص 30، وجريدة المجاهد: طور جديد في حرب الإبادة، (خريطة توضيحية للمنطقة المحرمة)، العدد 19، 01 مارس 1958، ص01.

[100] – جريدة المجاهد: طور جديد في حرب الإبادة، العدد 19، 01 مارس 1958، ص 12 .